الثورة الخميس 9 صفر 1432هـ الموافق 13 يناير 2011م العدد (16864)

علمه أن يحمل بين أنامله اليراع والورد فقتله

عبد الرحمن سيف إسماعيل

بحزن عميق وأسى بالغ شيعت الجماهير وفي مقدمتها الأوساط الإعلامية جثمان المغدور بهم عبد الرحمن محمد عبد الباري الشيخ والمعروف بعبد الرحمن عبسي وابنه وابنته والذين ذهبوا ضحية السلوك الفوضوي..

وفور قراءتنا لشريط الأخبار الذي أورد النعي ذهب خيالنا إلى أن الوفاة حدثت نتاج حادث مروري مؤلم، ولمعرفة المزيد من التفاصيل عن الحادث أجريت اتصالات متعددة بالأصدقاء والأقارب، والذين أكدوا أن الحادث حدث ذبحاً ومن قبل أحد أبنائه، وهنا شعرنا بمرارة المأساة، ولكن السؤال المطروح كيف يمكن أن يقوم ابنه وهو بهذا السن بهذا الحدث المأساوي دون مساعدة؟ فالآلة الحادة التي استخدمت في الجريمة تتطلب مهارات أقوى وأشخاص أكثر والقضية مطروحة على الجهات المعنية بالأمن.

ولكن القضية بخلفياتها وتداعياتها المختلفة توحي بأن هناك ثقافة خاطئة تعتمل في الواقع، وهناك ضعف في الخطاب الثقافي والديني وجميع هذه القضايا تتطلب استشعار مختلف المؤسسات الإعلامية والسياسية والثقافية بالمسئوليات الوطنية والأخلاقية والدينية تجاه أبنائنا ومجتمعنا بصفة عامة.

فكيف يستقيم أمر أن يربي المثقف والمبدع أولاداً يقتلوه بعد ذلك..؟

كيف يفشل المثقفون في تربية أبنائهم..؟

ولا أقول أن المثقفين يفشلون في هذه العملية، ولكن التأثيرات الخارجية أقوى، والمثقفون هم ضحايا هذه المؤثرات والثقافات الوافدة..

وليس هناك ما هو أكثر مدعاة للألم والخوف من أن تجد نفسك مدعواً للكتابة عن الحزن العميق لفقدان أحد المبدعين الذين تعلق الوطن بهم وسما بإنتاجهم ومعارفهم فوق الجروح.. سيما عندما تمتد أيادي الشر لتطال عملاقاً من عمالقة الفن والإبداع.

فها نحن نقطف ثمار ثقافة العنف والكراهية التي نسمعها هنا وهناك ونراها تنمو وتتسع ونسمع أصواتاً نشازاً تخترق المجتمع وتنداح فيه وتفعل فعلها.

الفنان والمبدع الجميل الراحل وأبناؤه ضحية هذه الثقافات التي ظاهرها حلو وباطنها مر، وكذا انتشار المخدرات والحبوب التي تخرج الشخص من ثقافته الوطنية والدينية الخيرة، وتجعله شريراً وعدوانياً وكارهاً لكل ما هو جميل وحيوي.

تولد عندي- فور ما عرضه تلفزيون السعيدة في البرنامج الأسبوعي الناجح (صدى الأسبوع) عن هذه الجريمة، وجريمة الحديدة، وكذا جريمة حجة التي قتلت فيها طالبة جامعية من الأعبوس أيضاً من قبل عمها ضرباً وكياً بالكهرباء مستخدماً مختلف أنواع أساليب التعذيب الوحشي وتكبيلها بالحبال ولأسابيع طويلة.. هذه الجرائم وغيرها والتي تتم بنفس الأساليب الوحشية إنما تؤكد خطورة ما يعتمل في الواقع وحجم الخطر الذي يهدد المجتمع- تولد لدي فيض من الحزن والخوف لفقدان الوطن لمبدعين متألقين هو في حاجة إليهم.. وعلى وجه الخصوص عبد الرحمن عبسي الذي يعتبر واحداً ممن صنعوا مجد اليمن وأحلامها، وسموا بها فوق الجروح.

العبسي مضى في سفر التاريخ مبدعاً.. شاهداً حياً على التطور الذي حدث في مجالات الدراما اليمنية، والبرامج الوطنية والتاريخية المرتبطة بتاريخ تطور المجتمع اليمني.

وظل العبسي في ظل هذا السفر الإبداعي التاريخي شامخاً يعانق النجوم.. عزة ورفعة، وخلوداً وإبداعاً.. وظل اليمن بمحطاته التاريخية والإبداعية حاضراً في أعمال هذا المبدع.. لهذا أقول أن العبسي شهيد الإبداع والتألق، والخلق وثقافة الحب والتسامح.. وهو بالمقابل ضحية ثقافة التطرف والجنون والغلو والكراهية.

ولكن يظل العبسي عنوان النضج الثقافي والفكري، واجهة الإبداع بكل تجلياته وملامحه الثقافية والفنية والجمالية.. صوتاً وصدى.. موسيقى وأغنية.. لسعات النسيم الصباحي الذي يدخل في نفوسنا البهجة والشعور بالحب.. يأتي صوته في البكور ليحرك الأشجان والأشواق، ورغبة في العمل والإنتاج.. صوتاً جميلاً نسمعه في زقزقة العصافير، وهديل الحمام ووخزات النسيم في إيقاعات المطر ومهاجل الزراع وأغاني الأم والزوجة والابنة.

يأتي صوته مع كل أغنية يبثها الأثير، ومع موسيقى سيول السواقي، وحفيف الأشجار وثغاء الأغنام المبتهجة بحضرة الطبيعة وسنادسها الجميلة وجميعها تتوحد في جماليات الإخراج الفني والمؤثرات الصوتية المختلفة لتحدث أغنية الصباح الجميل أغنية الصفاء والبهجة والنقاء والسرور.

فكيف لي أن أصدق أن هذا الصوت المميز الذي كرم عالمياً والذي ولد مع الغيوم المحملة بقطرات الندى قد أصبح سراباً، وأن هذا الكوكب النوراني الذي أضاء العالم بكامله قد أفل وأن هذا الصباح قد تلاشى ضوؤه وأصبح ليلاً دامساً طويلاً يهشم النهار بعد أن أصبح وعياً يعلمنا طرق الحب والعشق والتوحد.. كيف نضيء أحلامنا ونتلمس طرقنا المعتمة.

جاء إلينا حباً وشوقاً ووعياً وإبداعاً مع السنابل، وصدى السواقي والحنين وخصلات الشمس، جاء مبشراً بقيم العدل والحرية والوحدة.. مبشراً «بجزيرة الأحلام» مكرساً ثقافة الحب والتسامح البديل الموضوعي والفعلي لثقافة الكراهية، والاحتراب الثقافي والفكري التي زرعتها القوى الظلامية الضالة المتخلفة وحصدها أبناؤنا الذي أصبحوا ينظرون إلينا على أننا جزء من الماضي الجاهلي من ثقافة الردة والانقلابات الضالة.

جاء الموت للعبسي بغتة.. جاءه يختال ضاحكاً بين أنامل فلذة كبده الذي علمه أن يحمل عليها اليراع والورد علمه ثقافة آبائه وأجداده، رسالة الحياة والحب والتسامح، رسالة النبي محمد الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق.

هكذا انتصر هؤلاء لثقافة الحقد والموت والاغتيالات التي دأبت الكثير من الثقافات والمؤسسات والأفراد والجماعات على بثها ونشر سمومها.. وإرضاعها لأبنائنا المتعطشين للحياة والتقرب من أفعال الخير.. إنها ثقافة العنف.. الأفيون القائل.

ذهب العبسي وهو في قمة مجده وعطائه المعرفي.. ذهبت معه المعرفة والإبداع والتألق، ولكن بريقه ظل ملتمعاً، ومكانه شاغرة سيملأه عشاقه وتلاميذه ومحبوه.. كان الأثير الذي يطلق زفيره يحلق في الهواء حاملاً معه غذاء الروح والعقل.. نفحات المعرفة العقلية والوجدانية لجميع أفراد المجتمع بمختلف اتجاهاتهم وشرائحهم الاجتماعية والثقافية والفكرية فقد كان الجميع أحبابه ومريديه.. كانت رسالته تستهدف الناس جميعاً.. لا تفرق بين هذا أو ذاك..

لماذا إذاً الابن يقتل أباه وأشقاءه، والأب يقتل فلذات كبده، ولماذا يقتل العم ابنة أخيه ضرباً ولماذا تخنق طفلة بعمر الزهور؟

هل فقد الناس رشدهم وهل انتصر الشر على الخير؟

لاشك أن لهذه الأفعال الذميمة الخارجة عن المألوف أسبابها الخاصة ولا بد من دراستها وتجفيف منابعها واجتثاثها من جذورها.. وهذا لا يتأتى إلا من خلال الجميع لأنها تعبر عن تراكم طويل وتنامي ثقافة الحقد والكراهية وهي نتاج التعبئة الخاطئة التي دأبت عليها الأدوات والوسائل التي يتمسك بها أعداء الحب والجمال.. عشاق العنف والخوف.. والقتل.

وعبد الرحمن عبسي لم يكن مجرد مثقف عادي وإنما مبدع من الطراز الأول. حصد الكثير من الجوائز العربية والعالمية.

كان مخرجاً وفناناً كبيراً يتكئ على كم هائل من الخبرات المعرفية والفنية العالية وكان شخصية إبداعية وطنية كبيرة.. أبدع وتألق وأصبح رقماً فنياً عالمياً، ارتبطت مسيرته الفنية بالإبداع الفني المتألق كواحد من الرعيل الأول في مجال الخلق والإبداع الإعلامي الإذاعي والإخراج الفني المتعدد.

تألق في الكثير من البرامج والمسلسلات الدرامية الإذاعية.

وقد حصل على العديد من الجوائز في المهرجانات العربية في تونس والقاهرة وحصل على جائزة أفضل مخرج في الوطن العربي على عمله الدرامي المتميز «جزيرة الأحلام».

واغتيال هذا الرجل وغيره من القامات الإبداعية لا ينبغي أن يمر بسهولة، فينبغي أن نتصدى لهذه الثقافة العدائية.. ثقافة الموت والاغتيالات بمسئولية وطنية ونعيد في ضوئه أسلوب تعاملاتنا وتحديداً أولويات عملنا بجدية وموضوعية ومسئولية، فهذه القضايا لها علاقات مباشرة بثقافة التطرف والغلو التي دأبت بعض الجماعات والوسائل الإعلامية على تجسيدها وتعميقها في الواقع..

تغمد الله الفقيد العبسي وابنه وابنته وضحايا العنف والكراهية جميعاً برحمته.. وأسكنهم جنات تجري من تحتها الأنهار وألهم أهلهم وذويهم وأصدقاءهم ومحبيهم الصبر والسلوان.. إنا لله وإنا إليه راجعون.

لنصطف في مواجهة القتلة والمجرمين

طه العامري

هل بإمكان العصابات الإجرامية أن تستمرئ وتتلذذ باصطياد إخواننا وأبنائنا من منتسبي القوات المسلحة والأمن لو وجدت رد فعل شعبي عام وموحد يرفض هذه الهمجية التي يمارسها تجار الموت والقتلة الذين ومهما كانت هويتهم وعقيدتهم وأيديولوجيتهم وقضيتهم فهم في المحصلة مجرد قتلة وقاطعي طريق وزمرة أفاقين وهم وأيا كانت دوافعهم (ملعونون) بكل لغة ومن كل الأديان وفي كل القيم الإنسانية والأخلاقية.

إن طابور القتلة والمجرمين من قطاعي الطرق ومقلقي السكينة وقاتلي رجال الأمن ومثيري الفوضى ما كان لهم أن يتمادوا في جرائمهم لو وقفنا – جميعنا – وقفة رجل واحد وصطففنا خلف أبنائنا وإخواننا من أبناء المؤسستين العسكرية والأمنية ورفضنا بكل صراحة وشجاعة هذه التصرفات الاجرامية المشينة وجرمنا من يقوم بها وآمنا بضرورة وأهمية إنزال العقاب العادل بهذه الشرذمة القذرة من ممتهني الاجرام.

أقول لو وقفنا هذا الموقف الحاسم ما كان هؤلاء القتلة ليتجرأوا في مواصلة اجرامهم بحق الشعب والوطن وبحق الأبرياء من الجنود والضباط الذين لا ذنب لهم سوى أنهم يخدمون وطنهم وشعبهم ويسهرون على أمنهما واستقرارهما ويكابدون المشقة ويعملون في ظل ظروف صعبة وخطيرة لا يقوى على القيام بها إلا من كان وطنيا صادقا ومخلصا وأمينا ومستعداً لفداء وطنه في كل لحظة وفي أي زمان ومكان.

نعم لو كنا نملك القدر الكافي من الوعي لا صطففنا خلف هؤلاء الأبطال وأدنا بكل صرامة وأعلى صوت شلة الاجرام وطابور القتلة ولم نتخاذل في إدانتنا لهؤلاء المارقين من اتباع الشيطان الذين يهتكون العرض ويقطعون الطريق ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها ويقلقون السكينة المجتمعية ويعيثون فسادا على خارطة الوطن دون قضية وأي قضية هذه التي تجعل هؤلاء السفاحين يمارسون مثل هذه الجرائم البشعة التي لا يقرها دين ولا عرف ولا تجيزها قيم وأخلاقيات شعبنا.

إن الأبرياء الذين يتساقطون تباعا على يد هؤلاء المارقين إنما دمهم في رقابنا جميعا وجميعنا مطالبون بأن يكون لنا موقف ، موقف فقط ليس مطلوبا منا حمل السلاح في مواجهة هذه الشرذمة الباغية ، بل أن نقف موقفاً نعمل من خلاله رفضنا لكل هذه السلوكيات بعيدا عن الحسابات السياسية والحزبية ، علينا أن نقف جميعنا ونقول بصريح العبارة لا لهذه الجرائم البشعة ولا لهذه التصرفات البغيضة ولا لكل من يقاوم الوطن والشعب ويتمرد على الدولة ويستهدف حمايتها ومؤسساتها تحت أي ذريعة أو مسمى لا لأصحاب الحراك ولا لطابور التمرد ولا لكل من يتخاذل ويتردد في إدانة هؤلاء ويقف موقفا واضحا وصريحا منهم ومن أعمالهم غير المشروعة والمخالفة لكل القيم والأعراف والدساتير والقوانين.

لكل ما سلف فإن على الجميع أن يقف ويعلن إدانته لكل هذه الممارسات الاجرامية التي تستهدف أمن واستقرار الوطن والمواطن ومنجزاتهما ومكاسبهما ، وفي مقدمة من يجب أن يدينوا هذه الأعمال اولئك الذين ما برحوا يقفون أمام الكثير من العوائق والعراقيل ويعملون دون وصولها إلى مربع السكينة والاستقرار فالمعارضة الوطنية الشريفة هي تلك التي تخوظ معاركها السياسية بقدر من الوعي وبكثير من الولاء الوطني والحكمة والحصافة بحيث لا تتيح لبعض المتربصين والخونة والمتمردين والقتلة إذكاء شعلتهم المحرقة للسكينة وهي شعلة الفتنة التي تستمد وقودها من تصرفات وممارسات مقلقة يمارسها ويتصرف بها بعض الذين يفترض أن يكونوا بما يمارسوا الوجه الآخر للسلطة أو بمعنى أصح (حكومة الظل) وأقصد بهؤلاء أحزاب المعارضة التي منحت بسلوكها القاصر وبتصرفاتهاغير المسؤولة وغير الوطنية فرصة للخارجين على القانون على التمادي والإيغال في اجرامهم تحت ذرائع شتى وما كان لهؤلاء المارقين أن يتمكنوا من توسيع دائرة جرائمهم لو وقفنا في وجههم وتصدينا لجرائمهم وأدنا وبصراحة لا لبس فيها سلوكياتهم الاجرامية وهو ما لم يحدث من قبل بعضنا الذين يتغاضون أمام جرائم المجرمين ويتسهترون بكل ظاهرة غير قانونية بل ولا يترددون في توظيفها ضد النظام والدولة والسلطة والحكومة والحزب الحاكم وتلك ظاهرة لم نعهدها حتى في أكثر المجتمعات الديمقراطية تخلفا وجهلا وانحطاطا.

إن المعارضة غدت اليوم أمام امتحان جد خطير وهي مطالبة لإدانة واضحة لكل هذه الجرائم التي ترتكب بحق الوطن والشعب وبحق حماة الأمن وحراس الحدود ، هذه الجرائم التي ترتكب سواءً من قبل صناع الموت فيما يسمى (تنظيم القاعدة) الذي لا دين له ولا ملة لاتباعه ولا قيم أو أخلاقيات تستوطن وجدان منتسبي هذا التنظيم الاجرامي ، أو جاءت هذه الجرائم من قبل ما يسمى (الحراك) أو من قبل زمرة الفتنة والتمرد.

نعم أيا كانت الجهة التي جاءت بالجريمة علينا جميعا إدانتها ورفضها ومعاقبة من يقوم بها وتطبيق القانون عليه لينال الجزاء العادل ، بعيدا عن المحاباة والتوظيف الرخيص لمثل هذه الجرائم ومن يعمل بغير هذا فهو شريك في الجرم لأن هؤلاء القتلة ما كان لهم أن يتمادوا في جرائمهم لو لم يلاقوا تغذية لجرائمهم من خلال المواقف التخاذلية لبعضنا الذين يعملون على استغلال هذه الجرائم ويوظفونها لمساومة النظام والتشهير به ومحاولة إظهار النظام وكأنه عاجز عن ضبط إيقاعات الحياة والسكينة وهو فعل غير وطني وغير مسؤول فالنظام في أوج قوته وتماسكه وفي ذروة عطائه الوطني وواهم من يتصور أن هذه الحوادث العابرة قد تهز من عزيمة النظام أو تنال من قدرته وإرادته ومن يراهن على ذلك ليس أقل وهما من أولئك القتلة والمرجفين والمارقين الذين بما يقومون به من جرائم كمن يحرث في بحر وهم وإن نالوا من الأبرياء وأثاروا بعض الصخب لكن في النهاية المجد للوطن والنصر لشرفاء الوطن والخلود للشعب الذي يلتف حول قيادته السياسية وقائده الفذ فخامة الأخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية – حفظه الله – الذي ندرك جيدا دوافعه التسامحية وحكمته من هذا التسامح الذي يبديه أمام هؤلاء القتلة الذين يرى فيهم فخامته شلة من المغرر بهم ولهذا يواصل فخامته إبداء قدرا من التسامح على أمل أن يعمل الجميع على احتواء هؤلاء القتلة ونصحهم ليعودا إلى جادة الصواب وإلى حضن الوطن ليمارسوا حياتهم الطبيعية كمواطنين صالحين يحترموى النظام والقانون ، ولكن ليدرك الجميع أن لهذا التسامح حدوداً وسقفاً ، ولن يظل هذا التسامح للأبد أمام جرائم يفترض أن يعمل الجميع على احتواء أبطالها ولا نعتقد أن من يرتكب هذه الجرائم جاء من المريخ ولكنهم خرجوا من أوساطنا وإن كانت تغذيتهم تأتي من هذا الجانب أو ذاك ولدوافع متعددة ، لكن يظل في الأخير الموقف الوطني الحاسم والصارم هو السلاح الذي به قد نوقف هذه الزمر الإجرامية عند حدها من خلال تفاعلنا معا وكل في موقعه وحسب مكانته ودوره وعلاقته فإذا تعاملنا وفق هذا المنطق فإن بالإمكان أن نجنب أنفسنا والوطن جرائم الصبيان المغرر بهم والذين لن يتم وقفهم إلا إذا تصدينا لممارساتهم بصورة جماعية واصطففنا في طريقهم وضيقنا الخناق عليهم وفرضنا معا هيبة الدولة وقوتها وقانونها وأجبرنا الجيوب المارقة باحترام ذولة لنظام والقانون بعيدا عن السفسطائية السياسية والمكايدات الحزبية والبيانات التي ما انفكت تحمل النظام مسؤولية جرائم المجرمين فإذا ما جاءت الدولة لتطبق قانونها قامت قيامة بعضنا المتباكين على الحقوق والحريات والرافضين لعسكرة المدن كما يزعمون.

إن جرائم المجرمين هي نتاج طبيعي لمكايدات السياسيين وخاصة أحزاب اللقاء المشترك التي لم تدن يوما جريمة ولا مجرماً لكنها دوما تدين النظام وتجرم الحكومة ، فهل تعي هذه الأحزاب دورها ورسالتها الوطنية؟ هذا هو السؤال الباحث عن إجابة؟

AMERITAHA@GMAIL.COM

قلبي على ولدي انفطر

د/ سعاد سالم السبع ●

تطالعنا وسائل الإعلام - بين الحين والآخر- بأخبار لجرائم لا يستوعبها العقل ، جرائم غريبة بكل المقاييس، غريبة على الإسلام وعلى جميع الديانات السماوية ..

غريبة على كل القوانين الوضعية وعلى العقل والمنطق وعلى العاطفة وعلى كل القيم الإنسانية .. تلك هي جرائم امتهان كرامة الوالدين من قبل الأبناء الجاحدين بوسائل لا تنم إلا عن دمار الأبناء وسوء مصيرهم في الدنيا والآخرة..

أصبح كثير من الآباء والأمهات يشكون من عصيان أبنائهم وعدم الامتثال لأية نصيحة توجه إليهم من الوالدين والخروج عن طاعتهم بممارسة سلوكيات تؤذي الآباء وتصرف رضا الله عن الأبناء.. بدءا من الإهمال والتطنيش للوالدين وعدم رعايتهم في كبرهم .. وصولا إلى إلغاء مكانة الوالدين والسخرية منهم والتطاول عليهم باللسان وكأن الأبوين – في نظر بعض الأبناء – عدوان لدودان لا يحبان الخير لأبنائهم، بل صار الأبناء العاقون يستعجلون التخلص من الوالدين إن لم ينصاعا لقراراتهم غير السوية وينفذا رغباتهم الدنيوية، حتى وصل الحال المزري إلى ارتكاب جرائم في حق الوالدين تقشعر منها الأبدان كالإهانة والضرب وصولا إلى قتل الآباء والأمهات بدم بارد .. ما الذي يحدث يا إلهي؟!!

هل يعقل أن يحدث هذا الجحود في مجتمع بشري يتمتع فيه الإنسان بالعقل؟!! أو حتى في مجتمع لديه عاهات عقلية؟!

مهما كانت الأسباب؛ فإن عقوق الأبناء صار ظاهرة عامة ينبغي التوقف عندها من قبل جميع منظمات المجتمع الحكومية والمدنية، فلم يعد محدودا بحالات معدودة، صرنا محتاجين إلى حملة شاملة : دينية – تربوية – قانونية – وطنية- إعلامية- مجتمعية .. تسلط الضوء على ظاهرة عقوق الأبناء في هذا الزمن، وتوضح للأبناء خطر العقوق على مستقبلهم هم في الدنيا قبل الآخرة، وتعمل على إعادة الأبناء إلى صوابهم، وعلى التقريب بين الآباء والأبناء في هذا الزمن الذي سيطر فيه أقران السوء على قلوب الأبناء وعقولهم وأخذوا يزينون لهم عقوق الوالدين، ويبررونه للأبناء بمفاهيم مغلوطة عن الحرية وحقوق الإنسان..

لا يمكن أن نرجع عقوق الأبناء إلى سوء التربية الأسرية فقط، فقد أصبحت التربية السوية في نظر بعض الأبناء قيودا على رغباتهم وحرياتهم يحاولون مقاومتها بكل الوسائل المتاحة حتى وإن كان الثمن تدمير أنفسهم عنادا في آبائهم وأمهاتهم..

تربية الأبناء لم تعد من اختصاص الأسرة فقط، بل صارت تربية الأبناء مرتهنة بالعولمة والفضاءات المفتوحة على كل سيىء في هذا العالم.

ولذلك صار السيىء هو المثال النموذج للأبناء، الذين ينقادون له بلا تفكير، وصار الحق والخير وطاعة الوالدين هو التخلف والتحكم في نظرهم ويعملون على التحرر منه بدون تفكير أيضا..

لا بد أن تؤخذ ظاهرة عقوق الأبناء بصورة جدية، وأن يقف المجتمع بكل مؤسساته عند هذه الظاهرة، فهي مؤشر خطير لانهيار الأسرة، وضياع المجتمع كله، وصدق الله العظيم القائل (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم)

● أستاذ المناهج وطرائق التدريس المشارك بكلية التربية –جامعة صنعاء – عضو منظمة (اليمن أولا)

suadyemen@gmail.com